الإستراتيجية الحجاجية في الخطاب الكراماتي

أ. يمينة تابتي. جامعة بجاية- الجزائر.

<u>ملخص:</u>

تسعى هذه الدراسة الموسومة : بـ«**الإستراتيجية الحجاجية في الخطاب الكراماتي (دراسة تداولية)**» إلى الكشف عن طريقة المحاججة في الخطاب الكراماتي على أساس أن العلاقة بين الأقوال في هذا النوع من الخطابات علاقة حجاجية لا استنتاجية، وأنّ إلقاء القول هو النشاط الذي يكون وراء إنتاج الأقوال، بنية معقدة من أحداث الخطاب لها وظائف مختلفة. فما هي الاستراتيجية الحجاجية التي ينتهجها الأولياء في إلقاء القول وما هي طرقهم في التأثير على الآخر ؟

<u>الكلمات المفتاحية</u>: الكرامات- الحجاج- الولي- الخطاب الصوفي-التداولية- الأدوات الحجاجية.

Abstract:

This study is known as «the Argumentative Strategy in the Karamati Discourse», and it aims to unveil the argumentative method in the Karamati discourse within the basis that the relationship between the speeches in this type of discourse is argumentative rather than deductive, and that the utterance of speech is the activity that is responsible for the production of words. The complex structure of speech has different functions. What is the argumentative strategy which the forefathers depended on in producing speech? What are their ways of influencing the others?

Keywords: EL-Karamat - Argumentative – Wali (forefather) - Sufi Discourse – Pragmatic – Argumentative Tools.

1- توطئة:

الكرامات الصوفية أفعال خارقة للعادة يتميّز بها بعض الأشخاص عن غيرهم من بني البشر، كالمشي على الماء، والطيران في الهواء، والجلوس على النار، أو أن"يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره وحيا وإلهاما، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادق، ويسمى كشفا

ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات. فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفا ومكاشفة، أي كشف له عنه"1.

وقد تكون الخوارق مع الدين ومع عدمه، فإذا كانت مع الدين سميت معجزات وهي خاصة بالرسل والأنبياء، أو تكون خاصة بغيرهم وهم فئة خاصة من الناس يلقبون بالأولياء لقوله تعالى:" **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** "2، وتسمى أفعالهم الخارقة بالكرامات، و"الأولياء هم دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعض أعمالهم."3 وأما التي تحدث للعاصين فهي استدراج من الله لهم .

ورد في تفضيل هذه الفئة من الناس ما قاله الله تعالى فيما روى عنه رسول الله ﷺ: "من عادى لي وليّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتّى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولإن سألني لأعطينّه، ولإن استعاذ بي لأعيذنّه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءلته ولا بد له منه"4.

وعليه فإنّ هذه الخوارق تحدث كهبة من الله تعالى لعباده الصالحين لغاية معيّنة، فهي خوارق قدرية كونية من الله للعبد فتؤثر في الكونيات وفي نفس من تقع عليه الكرامة بالدرجة الأولى وذلك بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطنا وظاهرا، ويكون تأثير الكرامة في الآخَر بالتأثير في الشرعيات، أي أن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعة شرعية، بحيث تقبل النفوس ما يأمرها به من طاعة الله ورسوله.5 ومن منطلق التأثير هذا أردت الكشف عن الإستراتيجية الحجاجية في هذا الخطاب المتميز، فما هي الآليات التخاطبية التي يستعين بها أصحاب الكرامات لإقناع الآخر ؟

---

1 - ابن تيمية، المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها، تحقيق أبي عبد الله محمود بن إمام، مكتبة الصحابة، ط1، 1986، مصر، ص11

2 - سورة يونس: الآيتان(62-64).

3 - أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، كرامات أولياء الله، تح: أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1992، الرياض، ص15.

4 - ابن تيمية، المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها، ص28.

5 - يُنظر: نفسه، ص19.

يتسم الخطاب الكراماتي بسمات الخطاب الصوفي الذي يعتبر نصا حجاجيا وتواصليا بامتياز، إذ يمكن دراسته من خلال علاقة المتكلم بالمتلقي في إطار الحال التي تفرض على (أ) أن يحدث (ب) باستعمال آليات الإرسال، كما تفرض على (ب) أن يفهم بطريقة معينة ما يقوله (أ) . أو على أساس أن الحجاج بنية نصية، حيث يكون التركيز على الجوانب اللغوية فقط، وذلك بالحديث عن الأدوات اللغوية التي تلعب في النص دورا حجاجيا، وهي (المفردات، الأفعال، الظروف، الأسماء....الخ).

ينتمي الحجاج إلى " عائلة الأفعال الإنسانية التي تهدف إلى الإقناع، إذ العديد من الوضعيات التواصلية تستدعي وجود شخص، مرسل إليه، أو جمهور يتبنى سلوك معين أو يقتسم وجهة نظر معينة"1 وللحجة وجهان تختص بهما يتمثل الأول في " إفادة الرجوع أو القصد إذ الحجة مشتقة من فعل " حج" الذي يعني" رجع" فتكون الحجة أمرا نرجع إليه أو نقصده، ولا نرجع إليه أو نقصده إلا لحاجتنا إلى العمل به"، و الثاني يتمثل في " إفادة الغلبة: ذلك أن الفعل "حج" يدل أيضا على معنى (غلب) فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة فيصير بذلك مغلوبا"2.

يعرف **برلمان** (**PERLMAN**)الحجاج أنه " دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو بزيادة التصاق الأذهان بالأطروحات و تؤدي إلى التسليم بها"3، إذ يعتبر مشروعه " البلاغة الجديدة" الذي كان محل بحث في كتابه " **دراسة الحجاج**" « **Traité de l'argumentation** » الذي كتبه بمعية **تيتيكاه**(**TYTECA**)، اختراق لمفهوم البرهان والاستدلال الديكارتي و في هذا المعنى ارتباط ثاني بثنائية أرسطو للجدل المأخوذ من العلم والبلاغة، فبالنسبة لبرلمان " يمكن للاستدلال أن يقنع دون أن يكون "حسابا" و يمكن أن يكون دقيقا دون أن يكون "علميا"." 4

أما **الجدل**، فيعرفه ابن منظور بقوله :" مقابلة الحجة بالحجة"، حيث إنه يفسّر الجدل بجعله مرادفا للحجة، والدليل قوله: " هو رجل محجاج أي جدل" 5 وينطبق على هذا التعريف قوله تعالى في هذه الآيات: **" فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ "6**

" قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ " 1

---

1 Philippe breton, l'argumentation dans la communication ,3ème édition, la découverte , Paris 2003.P3.

2 طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب ،1998، ص 137.

3 Philippe Breton, Ibid, P11

4 Philippe Breton, Op.cit, p11

5 ابن منظور، لسان العرب، طبعة صادر، 1955، بيروت.

6 سورة البقرة، الآية 150.

" لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ " 2

" فَإِنْ حَاجُّوكَ..."3

يطلق على الجدل في التراث العربي الإسلامي " علم الكلام" أو " منهج المناظرة". بحيث تصبح الحجة حاملة لصفة الجدل.ذلك أن معنى الجدل هو تقرير الخصم على ما يدعيه من حيث أقر، حقا كان أو باطلا أو من حيث لا يقدر الخصم أن يعاند مجادلة لاشتهار مذهبه و رأيه فيه، لأنه يزري على مذهبه و رأيه فيه**4**.

أما **الإقناع** فهو صيغة اتصالية مهمة إذ يقصد إلى التعبير عن شعور أو حالة أو نظرة فردية على العالم أو على الذات أو الإخبار، بمعنى وصف وضعية ما بطريقة موضوعية، إقناعية بتقديم براهين جيدة للمخاطب لكي نلحقه برأي"**5**. والإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك**6**. ونفهم من قول "بريتون" بأن الإقناع أعم من الحجاج، إذ الحجاج محتوى في الإقناع و ذلك عندما قال:"ينتمي الحجاج إلى الأفعال الإنسانية التي تهدف إلى الإقناع"**7**. ومن الوسائل التي تؤدي إلى الإقناع حسب رأيه: التلاعب البسيكولوجي، التضليل والبرهان**8**

أطلق **برلمان** عام **1958** على دراسة تتناول الحجاج **Argumentation** بوصفه خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي والتأثير في سلوكه أي الإقناع (**Persuasion**)، ويشير استخدام مادة (**Argue**) في الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين الطرفين ومحاولة كل منهما في إقناع الأخر بوجهة نظره، وذلك بتقديم الأسباب والعلل (**Reasons**) التي تكون حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي، أو سلوك ما"**9**.

---

1 سورة الأنعام، الآية 149.

2 سورة الشورى، الآية 15.

3 سورة آل عمران، الآية 20.

4عبد الأمير الأعسم، المصطلح الفلسفي عند العرب، الدار التونسية للنشر، 1991، تونس، ص 254.

5 Philippe Breton, Ibid, P 3

6 علي محفوظ، فن الخطابة و إعداد الخطيب، مكتبة رحاب، الجزائر، ص13.

7 Philippe Breton, Op.cit P 03.

8 Ibid, P 05

9 جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، **2000**، القاهرة، ص 105.

يعتبر الحجاج بآلياته وطرقه وأنواعه المختلفة طريقة جد ناجعة في دراسة مختلف الخطابات. لهذا وقع اختيارنا عليه كطريقة نظهر بها وجه من أوجه التداولية المتعددة في هذا النوع الخاص من الخطابات، وهو الخطاب الصوفي وتحديدا الكرامة الصوفية.

2- تواصلية الحجة في الخطاب الكراماتي: يرى طه عبد الرحمان أنه يمكن للفظ التواصل أن يحمل ثلاثة معان وهي: نقل الخبر، نقل الخبر باعتبار مصدره، و نقل الخبر باعتبار مصدره وباعتبار مقصده. ويسمي عملية نقل الخبر بـ "الوصل" وعملية نقل الخبر باعتبار مصدره الذي هو المتكلم بـ " الإيصال"، وعملية نقل الخبر باعتبار مصدره ومقصده " بالاتصال"**1**

تستلزم عملية الاتصال في النهاية مخاطَبا يسعى المخاطِب إلى التأثير فيه ومحاولة إقناعه بكل الوسائل، إذ يعتبر الإقناع "واحداً من الصيغ المهمة للاتصال، يكون القصد فيها التعبير عن إحساس أو حالة أو نظرة فردية على العالم أو على الذات"**2**. وهنا يأتي دور الحجاج الذي يهدف إلى الإقناع بمختلف الأساليب. كما تظهر الصفة التواصلية للحجاج، إذ لا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج بغير تواصل باللسان**3**.

ولتوضيح عملية التواصل الحجاجية ومختلف درجاتها الاتصالية يقترح **فيليب بريتون (Philippe Breton)** الصيغة التواصلية الآتية**4**؛ إذ قبل حدوث عملية الاتصال، هناك عمليتين سابقتين، وهما؛ عملية التعبير وعملية الإخبار، ما يستدعي عملية الإقناع التي تحتاج إلى المخاتلة وعملية الحجاج في نفس الوقت، وعلى هذا المخطط سندرس درجات الاتصال التي تؤدي إلى حدوث عملية التواصل الحجاجي في الكرامة الآتية:

وهي كرامة من كرامات الشيخ "جمال الدين التبريزي" الذي "كان من كبار الأولياء وأفراد الرجال. له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة وهو من المعمرين.

قال ابن بطوطة: أخبرني رحمه الله أنه أدرك الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد، وكان بها حين قتله، وأخبرني أصحابه بعد هذه المدة أنه مات وهو ابن مائة وخمسين، وأنه كان نحو أربعين سنة يسرد الصوم ولا يفطر إلا بعد مواصلة عشر، وكانت له بقرة يفطر على حليبها، ويقوم الليل كله،

---

1 ينظر : طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 254.

2 Philippe Breton, Op.cit, P3

3 طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 254.

4 Ibid, P4

وكان نحيف الجسم طوالا خفيف العارضين، وعلى يديه أسلم أهل تلك الجبال، ولذلك أقام بينهم: أي جبال كامر والمتصلة بالصين.

قال: وأخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم: إني أسافر عنكم غدا إن شاء الله، وخليفتي عليكم الله الذي لا إله إلا هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منها، ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرا محفورا عليه الكفن والحنوط، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به رحمه الله1.

قال: ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقيني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكناه، فأخبروني أنّ الشيخ قال للفقراء الذين معه: قد جاءكم سائح المغرب فاستقبلوه، وأنهم أتوا لذلك بأمر الشيخ ولم يكن عنده علم بشيء من أمري، وإنما كوشف به، وسرت معهم إلى الشيخ فوصلت إلى زاويته خارج الغار، ولا عمارة عندها، وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته يأتون بالهدايا والتحف، فيأكل منها الفقراء والواردون، وأما الشيخ فقد اقتصر على بقرة يفطر على حليبها بعد عشر كما قدمناه، ولما دخلت عليه قام إليّ وعانقني وسألني عن بلادي وأسفاري، فأخبرته فقال لي: أنت مسافر العرب، فقال له من حضر من أصحابه: والعجم يا سيدنا؟ فقال والعجم، فأكرموه فاحتملوني إلى الزاوية وأضافوني ثلاثة أيام.

قال: ولما كان يوم دخولي على الشيخ رأيت عليه فرجية مارعز، فأعجبتني وقلت في نفسي: ليت الشيخ أعطانيها، فلما دخلت عليه للوداع قام إلى جانب الغار وجرد الفرجية وألبسنيها مع طاقية من رأسه، فأخبرني الفقراء أن الشيخ لم تكن عادته أن يلبس تلك الفرجية، وإنما لبسها عند قدومي، وأنه قال لهم: هذه الفرجية يطلبها المغربي ويأخذها منه سلطان كافر، ويعطيها لأخينا برهان الدين الصاغرجي، وهي له وبرسمه كانت، فلما أخبرني الفقراء بذلك قلت لهم: قد حصلت بركة الشيخ بأن كساني لباسه، وأنا لا أدخل بهذه الفرجية على سلطان كافر ولا مسلم وانصرفت عن الشيخ، فاتفق لي بعد مدة طويلة أني دخلت بلاد الصين وانتهيت إلى مدينة الخنساء، فأفترق من أصحابي لكثرة الزحام، وكانت الفرجية عليّ فبينما أنا في بعض الطرق إذا بالوزير في موكب عظيم، فوقع بصره عليّ فاستدعاني وأخذ بيدي وسألني عن مقدمي، ولم يفارقني حتى وصلت إلى دار السلطان معه، فأردت الانفصال فمنعني وأدخلني على السلطان، فسألني عن سلاطين الإسلام فأجبته، ونظر إلى الفرجية فاستحسنها، فقال لي الوزير: جردها فلم يمكني خلاف ذلك2، فأخذها وأمر لي بعشر خلع وفرس

---

1 يوسف بن اسماعيل النبهاني، جامع كرامات الاولياء، تح: ابراهيم عطوة عوض، مركز أهل السنة بركات رضا، ط1، 2001، الهند، ص 9.

2 يوسف بن اسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص10.

مجهز ونفقة، وتغير خاطري لذلك فتذكرت قول الشيخ إنه يأخذها سلطان كافر، فطال عجبي من ذلك. ولما كان في السنة الأخرى دخلت دار ملك الصين بخان بالق، فقصدت زاوية الشيخ برهان الدين الصاغرجي، فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها، فعجبت من ذلك وقلبتها بيدي، فقال لي لم تقلبها وأنت تعرفها ؟ فقلت له نعم هي التي أخذها مني سلطان الخنساء، فقال لي: هذه الفرجية صنعها أخي جلال الدين برسمي، وكتب إليّ أنّ الفرجية تصلك على يد فلان، ثم أخرج لي الكتاب فقرأته وعجبت من صدق يقين الشيخ وأعلمته بأول الحكاية، فقال لي: أخي جلال الدين أكبر من ذلك كله، هو يتصرف في الكون، وقد انتقل إلى رحمة الله، ثم قال لي: بلغني أنّه كان يصلي الصبح كل يوم بمكة، وأنّه يحج كل عام لأنه كان يغيب عن الناس يومي عرفة والعيد فلا يعرف أين يذهب1.

فبقول النبهاني: "**قال ابن بطوطة: أخبرني رحمه الله**" يكون قد حقق أول عملية وهي عملية "الإخبار والتعبير أو تقديم الموضوع"، والتي تسمى بعملية الاتصال بين المرسل الذي هو النبهاني والمرسل إليه الذي هو المتلقي والمتمثل بالدرجة الأولى في المريد. وهذه العملية تستدعي بالضرورة عملية "الإقناع"، والإقناع حسب "بريتون" يكون بواسطة المخاتلة والتي هي نوع من التلاعب النفسي. وتكمن المخاتلة في هذه الكرامات في قول النبهاني: "**الشيخ جمال الدين التبريزي كان من كبار الأولياء وأفراد الرجال. له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة**"2. أي أنه وضع المتلقي في حالة نفسية تجعله يصدق كل ما يقال عن هذا الشيخ الجليل، ثم يشرع بالموازاة مع المخاتلة في تقديم الحجج، وذلك للتدليل على صدق هذه الكرامات. إذ تتم العملية الاتصالية في هذه الكرامة بواسطة الإخبار، أما الإقناع فيتم بواسطة التلاعب البسيكولوجي والحجج، وبالتالي فهناك تكامل إذ لا يتم الاتصال إلا بالإقناع، ولا يتم الإقناع إلا بالاتصال، وهاتان العمليتان المتكاملتان (عملية الإقناع) و (عملية الاتصال) لا تنتجان في النهاية إلا عملية واحدة، وهي العملية التواصلية. ولما كان كل حجاج تواصلا فإننا نحصل على ثلاثة نماذج تواصلية للحجة: وهي النموذج الوصلي النموذج والايصالي والنموذجي الإتصالي للحجة.

فالنموذج الوصلي تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل، إذ يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل التي تكون عناصره موصلة وصلا تاما3.

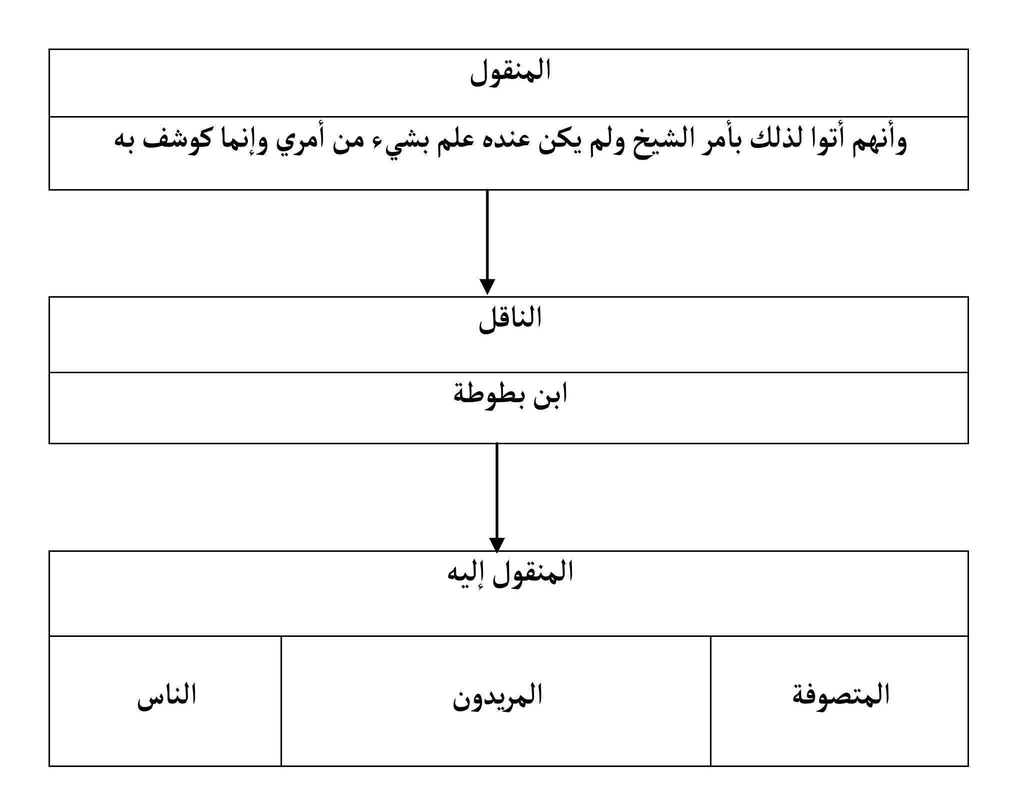
"ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقيني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكناه، فأخبروني أنّ الشيخ قال للفقراء الذين معه: قد جاءكم سائح المغرب فاستقبلوه، وأنهم أتوا لذلك

1 يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص10.

2 نفسه، ص9.

3 طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص255.

بأمر الشيخ ولم يكن عنده علم بشيء من أمري وإنما كوشف به"، إذ تقوم عملية التواصل في هذه المقطوعة على عناصر ثلاث هي: "المنقول"، "الناقل" و "المنقول إليه" حيث تكون بهذا الشكل :



أما النموذج الإيصالي للحجة، فهو الذي تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال، لأنه يجعل من الحجة فعلا استدلاليا يتوجه به المتكلم إلى المستمع [1]، كما في قوله: ".. **بعد مدة طويلة أني دخلت بلاد الصين وانتهيت إلى مدينة الخنساء، فأفترق من أصحابي لكثرة الزحام، وكانت الفرجية عليّ فبينما أنا في بعض الطرق إذا بالوزير في موكب عظيم، فوقع بصره عليّ فاستدعاني وأخذ بيدي وسألني عن مقدمي، ولم يفارقني حتى وصلت إلى دار السلطان معه، فأردت الانفصال فمنعني وأدخلني على السلطان، فسألني عن سلاطين الإسلام فأجبته، ونظر إلى الفرجية فاستحسنها، فقال لي الوزير: جردها فلم يمكني خلاف ذلك، فأخذها وأمر لي بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة، وتغير خاطري لذلك فتذكرت قول الشيخ إنه يأخذها سلطان كافر، فطال عجبي من ذلك"**. ثم يأتي النموذج الثالث وهو النموذج الاتصالي للحجة، الذي تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال، " إذ ينظر إلى الحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم و المستمع، جامعا بين

1 ينظر: طه عبد الرحمن، المرجع السابق، صص 259-260.

توجيه الأول و تقويم الثاني" 1. كما في قوله:" **ولما كان في السنة الأخرى دخلت دار ملك الصين بخان بالق، فقصدت زاوية الشيخ برهان الدين الصاغرجي، فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها، فعجبت من ذلك وقلبتها بيدي، فقال لي لم تقلبها وأنت تعرفها؟ فقلت له نعم هي التي أخذها مني سلطان الخنساء، فقال لي: هذه الفرجية صنعها أخي جلال الدين برسمي، وكتب إليّ أنّ الفرجية تصلك على يد فلان، ثم أخرج لي الكتاب فقرأته وعجبت من صدق يقين الشيخ وأعلمته بأول الحكاية فقال لي أخي جلال الدين أكبر من ذلك كله، هو يتصرف في الكون، وقد انتقل إلى رحمة الله، ثم قال لي: بلغني أنّه كان يصلي الصبح كل يوم بمكة، وأنّه يحج كل عام لأنه كان يغيب عن الناس يومي عرفة والعيد فلا يعرف أين يذهب."**

وما يؤكد هذه الوظيفة التواصلية للحجج هو الحوار القائم بين الشخصيات، أي بين ابن بطوطة والشيخ جلال الدين التبريزي صاحب الكرامات، وبين ابن بطوطة وأصحاب الشيخ، وبين ابن بطوطة والوزير، وبين ابن بطوطة والملك، وبين ابن بطوطة وبرهان الدين الصاغرجي.

3- الأدوات الحجاجية :

تنقسم الأدوات الحجاجية إلى قسمين: قسم يقدم الحجة وقسم يظهر النتيجة، ومن الأدوات التي تقدم الحجة: لكن، واو الحال، إلا، أنْ، حتى، إلا، إنْ، فإنْ، أما، ومن الأدوات التي تظهر النتيجة، إذ، لام التعليل، لأنّ، مع ذلك، إذا. كما أنّ هناك أدوات لغوية أخرى منها ما يفيد النفي مثل: لا، ليس، لم، وما يفيد التوكيد والإثبات مثل "إنّ" وما يفيد الاختصاص والقصر مثل "إنّما" كما نجد أدوات مثل: لولا، لو، لو لم.

سندرج فيما يلي بعض الأدوات الموظفة في هذه الكرامات والتي تهدف إلى تقديم الحجج، وإظهار النتائج التابعة لها بواسطة أشكال، نوضح من خلالها الوظيفة الأساسية لكل أداة.

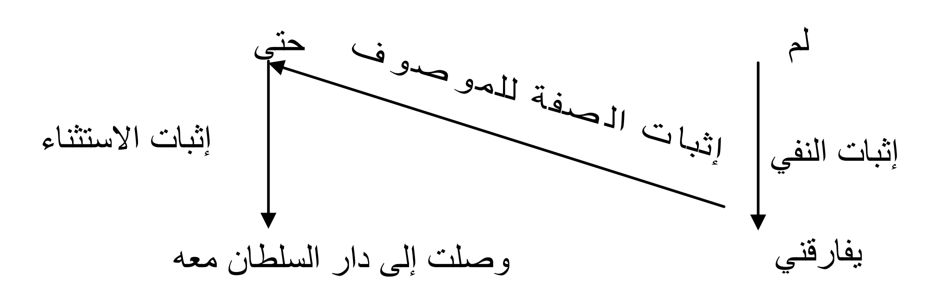
أ- **حتى**: تكمن وظيفة الأداة "حتى" إذا كانت مسبوقة بأداة نفي في إحداث التأثر النفسي، حيث ليس من الضروري أن "يكون الواقع الذي تعبر عنه نسبة الصفة إلى الموصوفات ملائما للواقع الخارجي، بل المطلوب أن يكون ملائما للواقع النفسي، أي مؤديا لمعنى يوّد المتكلم التعبير عنه، ويحسن اختيار الأداة التي تظهره محدثا تأثيره في السامع من خلال تخير الموقف المناسب"2. الذي اعتمده والذي يهدف في التأثير في نفسية مخاطبيه وبالتالي حدوث الإقتناع. .

وظفت الأداة "**حتى**" في هذه الكرامة بغرض التعبير عن صدقها وإقناع المتلقي بحدوثها، يقول ابن بطوطة وهو الراوي الرئيسي لهذه الكرامة: " **فبينما أنا في بعض الطرق إذا بالوزير في موكب عظيم،**

1 ينظر: نفسه، ص 269.

2 طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 132.

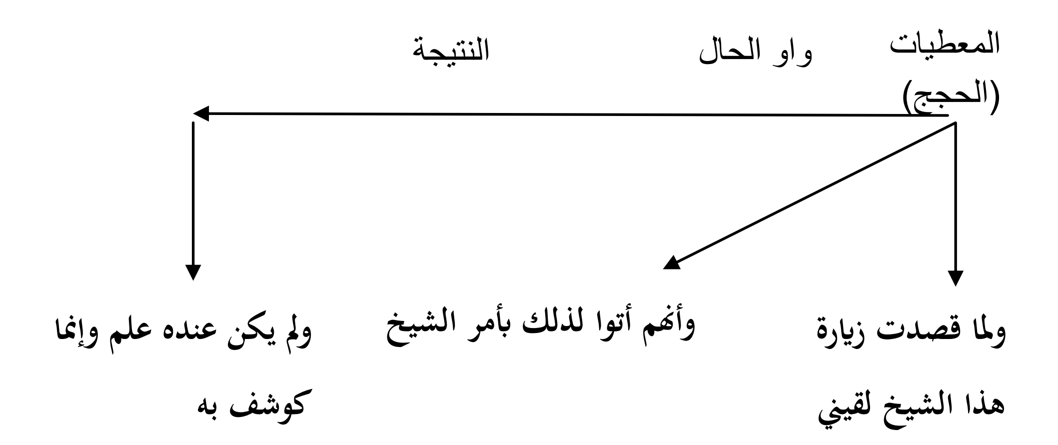
فوقع بصره عليّ فاستدعاني وأخذ بيدي وسألني عن مقدمي، ولم يفارقني حتى وصلت إلى دار السلطان معه، فأردت الانفصال فمنعني وأدخلني على السلطان، فسألني عن سلاطين الإسلام فأجبته، ونظر إلى الفرجية فاستحسنها، فقال لي الوزير: جردها فلم يمكني خلاف ذلك، فأخذها وأمر لي بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة، وتغير خاطري لذلك فتذكرت قول الشيخ إنه يأخذها سلطان كافر". نلاحظ في هذه المقطوعة أنّ ابن بطوطة الذي روى النبهاني هذه الكرامة على لسانه، يذكر الأداة "حتى" حسب الغرض الذي استعملها لأجله وهو الإقناع، ويمكن التمثيل لهذا القول كالآتي:



تعتبر حتى في هذه الكرامة مقدمة للحجة، وما قبلها النتيجة، وعليه فإن حتى مقدم حجج، وبهذه المعطيات أيضا يؤكد ابن بطوطة كرامة الشيخ جلال الدين التبريزي، فعلى أساس الوقائع التي سردها والتي حدثت له شخصيا يحاول إقناع القارئ بشكل استدلالي لا يحتمل التشكيك في صدقها.

ب- واو الحال: هي رابط حجاجي، يتمثل دورها الأساسي في كونها "مقدم، حجج"[1]، ومن أمثلتها قول النبهاني في هذه الكرامات على لسان ابن بطوطة: " **ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقيني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكناه، فأخبروني أنّ الشيخ قال للفقراء الذين معه: قد جاءكم سائح المغرب فاستقبلوه، وأنهم أتوا لذلك بأمر الشيخ ولم يكن عنده علم بشيء من أمري وإنما كوشف به، وسرت معهم إلى الشيخ فوصلت إلى زاويته خارج الغار، ولا عمارة عندها، وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته يأتون بالهدايا والتحف، فيأكل منها الفقراء والواردون، وأما الشيخ فقد اقتصر على بقرة يفطر على حليبها بعد عشر كما قدمناه، ولما دخلت عليه قام إليّ وعانقني وسألني عن بلادي وأسفاري فأخبرته فقال لي أنت مسافر العرب، فقال له من حضر من أصحابه: والعجم يا سيدنا؟ فقال والعجم، فأكرموه فاحتملوني إلى الزاوية وأضافوني ثلاثة أيام.."** نلاحظ أنّ وظيفة واو الحال في هذه الكرامة هي تقوية الحجج وذلك لطابعها البرهاني، كالآتي:

1 الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم "سورة النمل نموذجا"، مجلة اللغة والأدب، العدد 12، أكتوبر 1997، الجزائر، ص333.



أربعة من أصحابه

وعليه فإن في الكرامة قوة حجاجية لما آتى بعد واو الحال، ذلك لأنها ذات دلالة تصلح للاستدلال والبرهنة.

خاتمة:

نخلص في الأخير إلى أن النماذج التواصلية واستناداً إلى ما قاله طه عبد الرحمان ثلاثة، و لكل نموذج دوره في إحداث عملية التواصل الحجاجية، و أن الاتصال القائم على الحوار هو أكثر النماذج فعالية في التواصل الحجاجي، ذلك أنه يقوم على التزاوج والازدواج بين المخاطب و المخاطَب على مستوى السياق والقصد الذي يجمعهما.

كما نستنتج أنّ للأداتين "حتى" و"واو الحال" دورا هاما في إحداث المعنى، ذلك أنهما تحملان شحنة حجاجية تعمل على التأثير في الآخر، وهذا ما لمسناه من خلال الاتساق بين الوحدات الخطابية والانسجام الحاصل بين عناصرها، بحيث أنّ لكل مقدمة نتيجة محددة بواسطة رابط يبين إما تقديم حجة أو إظهار نتيجة، حيث تعمل على جذب المتلقي واستمالته. كما أنّ دورهما في الخطاب الكراماتي يختلف عنه في باقي الخطابات الأدبية، وهذا راجع ربما إلى خصوصية الخطاب الصوفي عامة والكراماتي خاصة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. **ابن تيمية**، المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها، تحقيق أبي عبد الله محمود بن إمام، مكتبة الصحابة، ط1، 1986، مصر.
2. **ابن منظور**، لسان العرب، طبعة صادر، 1955، بيروت.
3. **أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي**، كرامات أولياء الله وإظهار آيات أصفيائه من الصحابة والتابعين والخالفين لهم ومن بعدهم من المتأخرين، تح: أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1992، الرياض.
4. **جميل عبد المجيد**، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، القاهرة.
5. **الحواس مسعودي**، البنية الحجاجية في القرآن الكريم "سورة النمل نموذجا"، مجلة اللغة والأدب، العدد 12، أكتوبر 1997، الجزائر.
6. **طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، المغرب.
7. **عبد الأمير الأعسم**، المصطلح الفلسفي عند العرب، الدار التونسية للنشر، 1991، تونس.
8. **علي محفوظ** ، فن الخطابة و إعداد الخطيب، مكتبة رحاب، الجزائر.
9. **يوسف بن اسماعيل النبهاني**، جامع كرامات الاولياء، تح: ابراهيم عطوة عوض، مركز أهل السنة بركات رضا، ط1، 2001، الهند.
10. **Philippe breton,** l'argumentation dans la communication ,3ème édition, la découverte , Paris 2003.